قراءة في الحركة العلمية بتلمسان الزيانية
633هـ -992هـ الموافق لـ 1236م-1554م

الدكتورة: مغنيـة غردايـن ، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

شهدت تلمسان الزيانية نظامان في التعليم، النظام الابتدائي والنظام الاحترافي، وكان المتعلمون يتلقون دروسهم في كلا النظامين بمؤسسات مختلفة كالكتاتيب، المساجد والمدارس وهي نوع المؤسسات التعليمية التي تأخر ظهورها بتلمسان الزيانية الى مطلع القرن الثامن هجري الموافق للقرن الرابع عشر ميلادي كمدرسة ابني الامام، المدرسة التاشفينية كما اعتبرت الزوايا أيضا ضمن المؤسسات التعليمية ذات الطابع الديني والثقافي، ومن أهم العلوم التي انتشرت بتلمسان الزيانية، علم التفسير، وعلم الحديث والفقه واللغة والأدب والتاريخ والطب مما جعل تلمسان تحظى بنصيب كبير في استقبال العلماء وارسال علماء من والى مختلف أنحاء بلاد المغرب الاسلامي خاصة الأندلس.

Abstract:

Tlemcen during the zianid dynasty experienced two systems of education, the primary and the professional cycle. The disciples received their course in the two cycles at the breasts of the different institutions like the medersas; mosques, and schools. This type of institution, which appeared only at the beginning of the eighth century hijjri, corresponding to the fourteenth century after I, like the college of bn el imam and medersa tachfinya, the zawiyas were considered to be religious and cultural educational institutions. The most important sciences that tlemcen zianide has known are ... .. al hadith, ...

Attafir, jurisprudence, language, literature, history and medicine. All this has qualified Tlemcen to become a prestigious scientific pole that receives and sends scholars throughout the Islamic Maghreb including Andalusia.

مقدّمة:

إنّ مظاهر تفوق أي دولة هو تفوق علمائها في مختلف العلوم ،ولعل المغرب الأوسط قد حظي بهذه الميزة في العصر الوسيط، بحيث احتضن العديد من الحواضر التي كان لها الأثر البالغ على المغربين الأقصى والأدنى وبلاد السودان الغربي وحتى الأندلس.

ومن بين حواضر المغرب الأوسط في العصر الوسيط تلمسان، بحيث لا يختلف الدارسون لتاريخ تلمسان على أنها كانت في العصر الوسيط مركز اشعاع حضاري، ومن هذا المنطلق جاء تناولنا لهذا المقال الموسوم ب"**قراءة في الحركة العلمية بتلمسان الزيانية 633هـ-992هـ الموافق ل 1236م-1554م**" بحيث تمت معالجة المقال من خلال الإجابة على الإشكالية التي قد تتبادر لذهن أي باحث بالموضوع وهي: **ماهو نطاق بروز تلمسان كحاضرة علمية ببلاد المغرب الإسلامي ؟** لنجد أنفسنا مجبرين على تجزئة الإشكالية إلى العديد من التساؤلات الفرعية منها:ماهو نظام التعليم الذي ساد بتلمسان الزيانية؟ وماهي أهم العلوم التي تم تدريسها في تلك الفترة ؟ ثم من هم أهم العلماء الذين ساهموا في إبراز مكانة تلمسان ؟ وما أثر تلمسان الزيانية كحاضرة علمية على باقي حواضر بلاد الغرب الإسلامي كالمدن الأندلسية ؟ وللإجابة على هذه الإشكالية تناولنا المقال في شكل عنصرة، معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي العلمي القائم على سرد الحقائق التاريخية وذكر المعلومات، والمنهج الوصفي القائم على دقة الملاحظة لحاجتنا اليه في وصف بعض العلوم ونظام تعليمها متحريين في ذلك الموضوعية قدر الإمكان.

هذا وقد اعتمدنا في دراستناعلى مجموعة من المصادر والمراجع التي لها علاقة بالموضوع منها يحيى بن خلدون في مؤلفه بغية الرواد، وعبد الرحمن بن خلدون في مؤلفيه المقدمة والعبر، نظم الدر والعقيان لصاحبه أبو عبد الله التنسي، هذا عن المصادر أما عن المراجع التي أولت الموضوع جانبا كبيرا من الأهمية محمد بن رمضان شاوش في مؤلفه باقة السوسان في التعريف بحضارة

تلمسان عاصمة دولة بني زيان، عبد العزيز الفيلالي في كتابه تلمسان في العهد الزياني، أبو حموالزياني (حياته وأثاره) لصاحبه عبد الحميد حاجيات.

1. نظام و مؤسسات التعليم في تلمسان الزيانية

عرف التعليم في تلمسان [1] الزيانية [2] نظامين ،نظام التعليم الابتدائي و نظام التعليم الاحترافي، فأما التعليم الابتدائي فيبدأ منذ سن السابعة و فيه يتم تعليم القرآن الكريم و الحديث الشريف و أساسيات العلوم[3]، و قد كانت منهجية التعليم في هذه المرحلة تقوم على تلقين التلاميذ الحروف الهجائية و أيضا الكتابة. هذا و تم اشتراط عدة صفات في المعلم منها إتقانه لأحكام التجويد من إظهار وإدغام و إعجام،إضافة إلى أحكام اللغة و الكتابة[4] .

أما بالنسبة للتعليم الإحترافي فهو المرحلة التي تعقب مباشرة مرحلة التعليم الابتدائي، و يكون الطالب فيها متما لحفظ القرآن و مدركا لمبادئ الكتابة و أساسيات القراءة العربية، إضافة إلى القراءات في المتون و بعض العلوم الأخرى[5] .

هذا و تميزت مرحلة التعليم الإحترافي بحرية الطالب في اختيار المواد الدراسية حسب إمكاناته الفكرية، و قد كان للطالب أيضا حق اختيار المعلم و الأستاذ، و قد كان وجوبا على الأساتذة والمعلمين احترام رغبات و خيارات الطلبة، و كان الطلبة يختارون اللغة العربية و الحساب والمنطق إلاّ أنّ دراسة الفقه كانت تقريبا أكثر العلوم المختارة من طرف جميع الطلبة[6] .

كان التعليم في كلا المرحلتين الابتدائية والإحترافية يتم بالمؤسسات التالية:

الكتاتيب: كانت هذه الأخيرة بمثابة المدرسة الإبتدائية فقد كانت تلقن المتعلم مبادئ القراءة و الكتابة و حفظ القرآن و هي إما مستأجرة من طرف المعلمين أو ينشئها الخواص[7] فقد تباينت الكتاتيب ما بين الريف و المدينة حسب تباين البيئة و الوسط فيذكر ابن أبي دينار في كتابة المؤنس في أخبار

افريقية و تونس أن الكتاتيب بالمدينة كانت أكثر تجهيزا منها في الريف، فكتاتيب المدينة عبارة عن قاعة كبيرة و واسعة بمدرجات لجلوس التلاميذ، و أما في الريف، فكانت عبارة عن غرفة بسيطة بها أفرشة من حصير يلتف فيها التلاميذ حول المعلم، و أما عن الأدوات المستعملة في الكتاتيب فهي عبارة عن ألواح مسطحة و دواية [8] و قلم و بعض [9] الصلصال [10] .

المساجد: كان المسجد بتلمسان في العهد الزياني بمثابة جامعة أو معهد إضافة إلى كونه مكانا للعبادة[11]،إذ كان الشيخ أو المعلم يجلس عند أحد أعمدة المسجد و يلتف الطلبة حوله فيقوم بتعليمهم العلوم الشرعية و النحو و اللغة [12]، و كان المسجد أيضا مكانا لعقد حلقات البحث و تنظيم المناظرات الأدبية و الحوارات الفقهية[13]، و قد شمل في العهد الزياني بتلمسان المدن و الأرياف و من أبرز المساجد التي كانت مكان لتلقي العلم بتلمسان مسجد سيدي إبراهيم المصمودي[14]، مسجد سيدي الحلوي[15]، و مسجد أبي الحسن[16] .

أما المدارس فقد تأخر ظهورها في تلمسان إلى مطلع القرن الثامن هجري الموافق للقرن الرابع عشر ميلادي، و من أهمها.

مدرسة ابني الإمام هي أول مدرسة شيدها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول في مدينة تلمسان [17]، و سميت بهذا الاسم نسبة إلى مدرسيها ابني الإمام[18] اللذين عينا على راس هيئة التدريس، و تعرف بالمدرسة القديمة[19] .

و المدرسة التاشفينية و التي تم بناؤها على يد السلطان أبي تشفين بن أبي حمو موسى الأول ما بين (718 هـ-737 هـ) بجانب المسجد الأعظم بتلمسان [20]، و قد عين بها مدرسين من أبرزهم أبو موسى عمر المشدالي[21] إضافة إلى مدرسة سيدي أبي مدين و المدرسة اليعقوبية و مدرسة سيدي الحلوي[22].

كانت المدارس مهمة عند سلاطين الدولة الزيانية، فلم يكن دور المدرسة مقتصرا على التدريس فقط، بل أيضا قيّام العلماء بتحفيظ القرأن وتفسيره، فضلا عن القيام باحتفالات عند الإنتهاء من حفظ القرأن، ويشرف السلطان بنفسه على هذه الاحتفالات ويستدعي الناس ويقدّم الأطعمة ؟وكثيرا ما حضر حكام الدولة بعض الدروس بالمدارس وجلسوا مثلهم مثل الطلبة على الحصير، وجعلوا من حق الطلبة الذين يتابعون دروسهم بالمدرسة الحصول على الطعام والكساء وحتى المبيت داخل المدرسة وهذا في إطار ميزانية المدرسة التي يدفعها السلطان.[23]

هذا إضافة إلى الزوايا و الزوايا هي البنايات ذات الطابع الديني و الثقافي، تستقبل الطلاب لتعليم العلوم الشرعية و تقام بها الصلوات الخمس أحيانا يسمح لطالب العلم أو عابر السبيل بالإقامة فيها[24]، و من ثم فهي مرافق تعليمية اجتماعية [25]، و من ابرز الزوايا بتلمسان الزيانية: زاوية أبي يعقوب، زاوية سيدي الحلوي، زاوية سيدي أبي مدين، و غيرها من الزوايا [26].

و هناك مؤسسات تعليمية أخرى من مساجد و مدارس و زوايا لم نوردها، لقلة المعلومات المتعلقة بها مثل مدرسة منشرا الجلد التي لم تذكر عنها المصادر و المراجع شيئا من حيث التأسيس و الموقع.

2. أهم العلوم و العلماء في تلمسان الزيانية :

و من أشهر العلوم التي كانت تدرس بالمؤسسات التعليمية الزيانية في تلمسان العلوم النقلية وقد اشتملت على كل ما يتعلق بعلوم الشريعة الإسلامية كالتفسير الذي اعتنى به الزيانيون و ذلك من خلال تدريسه في المرحلة الإبتدائية و قد كان الطلبة يتلقّون هذا العلم على اتجاهين :

الاتجاه الأول: و هو التفسير المأثور و المنقول و ذلك بالاستناد إلى الأحاديث المنقولة عن النبي صلى الله عليه و سلم-و الصحابة التابعين- رضى الله عنهم -

الاتجاه الثاني: و هو بالاستناد إلى الاجتهاد و الرأي مع ضرورة التمكن من ملكة اللغة، بقصد توصل المفسر إلى المعنى الأكثر صحة [27]، أيضا علم الحديث حيث كان العلماء الزيانيون يحفظونه و يشرحون مجامعه المشهورة، و من أشهر العلماء في هذا العلم محمد بن أبي عبد الله التنسي[28]،إضافة إلى علم الفقه، و خاصة الفقه في المذهب المالكي[29]، لأنه كان سائدا في الدولة الزيانية و كل السلاطين الزيانيين يميلون إليه، و قد برز في هذا العلم العديد من الفقهاء منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد[30]، هذا الأخير برز أيضا في التفسير و الأصول[31].

و إلى جانب علم التفسير و الحديث و الفقه هناك أيضا علم القراءات الذي اهتم به الزيانيون وقد شمل عدة فروع منها :فن القراءات و فن رسم حروف القرآن في المصحف[32]، و علوم أخرى كعلم الكلام والتصوف الذي برز فيه محمد بن يوسف السنوسي[33]، صاحب كتاب أم البراهين في العقائد المعروفة بالصغرى في علم التوحيد [34].

هذا وقد اهتم حكام الدولة الزيانية اهتماما بالغا بتدريس المذهب المالكي، إذ كان مذهب الدولة الرسمي ولم يتخذوا غيره[35] فعملوا على تشجيع تدريسه ونصرة طلابه وفقهائه بإنشاء المدارس و جلب كبار فقهاء المالكية للتدريس بها[36]، فكان الطلبة يدرسون بالمدارس الفقه المالكي وكل ما اشتهر من كتب ومؤلفات خاصة بالمذهب المالكي و كتاب الموطأ بالدرجة الأولى[37]، ولم يكن الإهتمام بالتدريس فقط بل ايضا بالتوظيف بعد التخرّج، إذ حرص حكام الدولة الزيانية على الأخذ بالمذهب المالكي في القضاء[38] والفتوى فكان يشترط في القاضي زيادة عن كونه عالما بأمور الدين والدنيا وفقيها أن يكون على المذهب المالكي فإن كان على غيره من المذاهب ألزم

على الحكم بين الرعية به[39] وفي الفتوى كان يعتمد على أهم كتب الفقه المالكي على رأسها المدونة[40].

إضافة إلى اهتمام الزيانيين بعلوم الشريعة اهتموا ايضا بعلوم اللغة و الأدب فقد انتشر النثر في تلمسان الزيانية من خلال الرسائل وعدد كبير من الكتب التاريخية و الأدبية، و قد عرف رواجا كبيرا خاصة فيما بين القرن 8- 9 هـ/ 14- 16 م و قد تزين النثر في هذه الفترة بالزخرفة اللفظية من سجع و محسنات بديعية[41] ومن بين الذين برزوا في فن النثر بتلمسان أبو بكر بن خطاب المرسي الأندلسي[42].

كما نشط أيضا الشعر في العهد الزياني فذلك بفعل ما امتازت به تلمسان من طبيعة خلابة ،فعكف الشعراء على كتابة أعذب الكلام[43]، وقد برز في هذا الميدان الشاعر ابن خميس[44]، و من مؤلفاته ديوان شعر سماه " الدر النفيس من شعر ابن خميس "[45] ، و نذكر له هذه الأبيات من قصيدته "مهيار":

سَلْ الريحَ إنْ لَمْ تَسْعَدْ السُفُنْ أَنْوَاءُ فَعِنْدَ صِبَاها منْ تِلِمْسَانْ أَنْبَـاءْ

وفِي خَفَقَانْ البَرقِ مِنْهَا اِسْتِشَارَةٌ إِلَيْكَ بِمَا تَنْمِي إِلَيْكَ و إِيمَـــاءُ

تَمْـــرُ اللَيَالِي لَيْلَةً بَعْـدَ لَيْلَـةٍ والأُدْنُ إِصْغَـاءٌ و لِلْعَيْنَ إِكْلاَءْ [46]

هذا إضافة إلى ابن مرزوق الخطيب[47] الذي نبغ في الأدب عامة و الشعر خاصة ،و من أشهر أشعاره ما قاله في مدح السلطان أبو الحجاج يوسف بن نصر صاحب غرناطة :

أُنْظُرَ إِلَى النوَارِ فِي أَغْصَانِهِ يَحْكِي النُجُومَ إِذَا تَبَدَتْ فَي الحَلَكِ

حَيَا أَميرُ المُسْلمينْ وَ قَالَ قَـدْ َميتْ بَصِيـرَةٌ مَنْ تَغيُـرك مِثْلَكَ

يَا يُوسُفَ حُزْتَ الجَمَالَ بِأَسْرِه فَمَحَاسِنُ الأَيَامِ تُومِي هِيت لَكَ [48]

هذا و اهتم الزيانيون في تلمسان اهتماما شديدا بعلم التاريخ بكل انواعه من تراجم و سير وتاريخ الملوك و الخطب و غيرها، و من أشهر

المؤرخين يحيى بن خلدون [49] صاحب كتاب بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، و قد ألفه بأمر من السلطان الزياني ابي حمو الثاني[50]، إضافة إلى مؤرخ آخر و هو أبو عبد الله التنسي، صاحب كتاب نظم الدر و العقبان في بيان شرف بني زيان، و يتضمن الكتاب دراسة حضارية لبني زيان[51] .

و يتضمن كتاب ابن مرزوق الخطيب المسند الصحيح أيضا بعض الأحداث التاريخية السياسية و الحضارية لبني زيان و بني مرين اضافة الى السيرة الذاتية للسلطان أبي الحسن المريني[52] .

هذا و قد انتشرت أيضا بتلمسان الزيانية إضافة إلى العلوم النقلية العلوم العقلية كعلم المنطق[53] الذي برز فيه السعيد العقباني [54] و ابن مرزوق الحفيد و محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني[55] من خلال شرحهم للكتاب المسمى "مختصر الجمل" لصاحبه الخونجي [56]، و انتشر بتلمسان الزيانية أيضا علم الرياضيات من حساب و جبر و فرائض و هندسة [57]، و من بين العلماء الذين برزوا في هذا العلم أبو العباس محمد بن قاسم بن توزت [58] ،هذا إضافة إلى علم الفلك [59]، حيث برز فيه العديد من العلماء منهم محمد بن أحمد التلمساني المعروف بالحباك ،و قد ألف العديد من التصانيف في هذا العلم[60] .

و برز بتلمسان الزيانية أيضا علم الطب،هذا العلم الذي اهتم به السلاطين الزيانيين اهتمام بالغا وبرز فيه كل من التلاليسي [61]، و الذي تقلد منصب الطبيب الخاص للسلطان أبي حمو موسى الثاني، و أيضا محمد بن أحمد العقباني [62]، و هناك العديد من العلماء الذين برزوا في هذا الميدان[63].

هذا و هناك علوم أخرى نقلية و عقلية اهتم بها الزيانيون و برزت و انتشرت بتلمسان كفن التوشيح[64] في العلوم النقلية ،و برز فيه أيضا التلاليسي، و علم التوثيق و من أهم رواده أحمد بن البطيوي [65]، و هو أحد فقهاء تلمسان المتخصصين في التوثيق .

3. أثر تلمسان كحاضرة علمية في بلاد المغرب الإسلامي (الأندلس أنموذجا) :

كانت تلمسان الزيانية حاضرة علمية أثرت في جميع بلاد المغرب الإسلامي، على وجه الخصوص الأندلس فقد استقبلت تلمسان منذ عهد يغمراسن بن زيان لعديد من العلماء للاستزادة من العلم، منهم ابن خطاب المرسي، الذي نزل بتلمسان لطلب العلم و مكث بها فعينة يغمراسن صاحب القلم الأعلى بتلمسان وقد كان قبل نزوله بتلمسان من اشهر أدباء غرناطة وكاتبا لسلطانها[66]، و أبو عبد الله محمد الحداد الوادآشي، و أبو عبد الله محمد بن الأزرق و أبو جعفر احمد البلوي الوادآشي [67]و أبو الحسن علي [68] القلصادي و الذي رحل إلى تلمسان وهي تعيش أزهى عصورها الثقافية فكان يعقد حلقات للدرس بتلمسان يتولى الإثراء بها [69] .

كما قصد العديد من علماء تلمسان الأندلس لإلقاء العلم و تلقي علوم جديدة كالشريف الحسني التلمساني[70] الذي كان من أكابر علماء تلمسان و رحل إلى غرناطة، حيث أخذ عنه مجموعة من العلماء أمثال القاضي أبو بكر بن عاصم، و كان محل اهتمام و استشارة علمية عند معظم علماء الأندلس [71]،كما رحل أيضا إلى الأندلس ابن مرزوق الخطيب حيث عين بها خطيبا بجامع غرناطة ومدرسا بها و تلقى العلم منه العديد من رموز علماء الأندلس من أبرزهم لسان الدين ابن الخطيب وابن زمرك واللذين استمرا في الإتصال به حتى بعد رحيله عن الأندلس[72] و ابن خميس التلمساني الذي انتقل إلى الأندلس وساهم في اثراء وإزدهار الحركة الأدبية بقصائده في وصف تلمسان[73] وعبد الرحمن بن خلدون الذي تذكر المصادر أنه استقبل بحفاوة في الأندلس من طرف سلطان بني الأحمر بغرناطة محمد الخامس والذي أكرمه إكراما يليق بالعلماء[74]، بحيث كتب له لسان الدين ابن الخطيب رسالة يرحب به فيها قبل وصوله ضمنها شعرا [75]، و كان هذا السلطان محبا للعلماء ويقربهم من مجلسه على الدوام و يكرمهم وفي هذا الشأن يذكر لسان الدين

ابن الخطيب فيقول :"...ولّما مات السلطان أبو الحجاج، ضاعف ولده حظوتي و أعلى مجلسي ..."؟ [76].

و هناك من عاصر الحياة العلمية بتلمسان و الأندلس فتلقى العلم من هما في آن واحد مثل لسان الدين بن الخطيب [77]، الذي شغل منصب السفارة بين البلدين ،فكان له تراثا أدبيا زاخرا بتلمسان خاصة بعد مكوثه و الاستقرار بها[78].

هذا و كان معظم العلماء الأندلسيون ينزلون بتلمسان ،خاصة أثناء مرورهم بها لأداء فريضة الحج، و في هذا الصدد يذكر لسان الدين بن الخطيب فيقول:" إنما للغرب بابا و للركاب الحج ركابا[79]". و إلى جانب النزول بتلمسان أثناء أداء فريضة الحج فهناك أسباب أخرى، منها السياسية كتدهورالأوضاع بالأندلس خاصة بعد سيطرة النصارى على عدة مدن، وهذا ماورد في العديد من مؤلفات ومصنفات العلماء بالأندلس، اضافة إلى تضييق حكام الأندلس في بعض الفترات الخناق على العلماء مما يضطرهم إلى الهجرة نحو تلمسان في أغلب الأحيان.

وكثيرا أيضا ماتسبب الخلاف والنزاع في المسائل العلمية بين الطلبة وشيوخهم إلى مغادرة المدينة وفي معظم الفترات كان الطلبة هم الذين يغادرون المدن نحو حواضر علمية أخرى [80] ومثال ذلك ماحدث بين أبو حيان الأندلسي وشيخه[81] أحمد بن علي بن الطباع، بحيث عارض شيخه في الكثير من الأراء وصنف لذلك كتابا أسماه بـ: " الإلماع في افساد اجازة ابن الطباع "واضطر إلى مغادرة الأندلس باتجاه تلمسان سنة 699هـ الموافق ل1300 م مفارقا شيخه[82].

فقد ساهمت عوامل أخرى في وصول علماء و علم تلمسان إلى الأندلس منها:

- ✓ التقدم و الازدهار الاقتصادي بتلمسان و انعكاسه إيجابا على الحركة العلمية .
- ✓ تنافس تلمسان مع جارتيها تونس[83] الحفصية و مراكش [84] المرينية مما جعلها أبرز حواضر العلم و الأدب و الفكر .
- ✓ ظهور الوراقة و فن النسخ و ظهور النساخ و الخطاطون و تنافسهم على نسخ الكتب واختطاط و تدوين المعلومات [85] .

خاتمة :

من خلال ما سبق ذكره يمكن القول أن الذي ساعد تلمسان على البروز كحاضرة علمية في نطاق واسع تعدى بلاد المغرب الإسلامي إلى الأندلس هو :

- ✓ اعتماد تلمسان الزيانية على تعدد أنظمة التعليم إلى نظامين أو مرحلتين لكل طالب علم، نظام التعليم الابتدائي ونظام التعليم الاحترافي .
- ✓ حرية الاختيار لطالب العلم في تحديد المواد الدراسية التي يسعى لتلقيها أو العلوم التي يريد أن يتعلمها.
- ✓ تنوع المؤسسات التعليمية بتلمسان الزيانية منها الكتاتيب والزوايا والمساجد والمدارس، مما يوحي لنا بأن كل أفراد مجتمع تلمسان الزيانية على اختلاف اهتماماتهم و مستوياتهم وطبقاتهم الاجتماعية كانوا يتلقون تعليما في المؤسسة التي تنتمي إليها طبقة كل فرد.
- ✓ ساعد تعدد نظام التعليم وتنوع المؤسسات التعليمية في تلمسان الزيانية إضافة الى حرية الاختيار على بروز علماء بتلمسان خاصة والمغرب الأوسط عامة في مختلف العلوم .
- ✓ نلمس من خلال معالجتنا للموضوع أنه كان لسلاطين بني زيان دور كبير في إثراء وتبادل النشاط العلمي و الثقافي بين تلمسان وباقي حواضر الغرب الإسلامي خاصة الأندلس، و يبرز ذلك جليا في حركة العلماء الذين لم يتعرضوا لأي صعوبة في حالة قيامهم برحلات من الأندلس إلى تلمسان أو من تلمسان إلى الأندلس، ولا في مساهمتهم في إلقاء الدروس وعقد حلقات علمية بالمؤسسات التعليمية سواء بتلمسان أو الأندلس .

❖ هوامش البحث:

(1) تلمسان: تقع بالمغرب تتكون من ضاحيتين متجاورتين مسورتين إحداهما قديمة و الأخرى حديثة، و قد اختطها المزبطون (الملثمون)، ملوك المغرب، و اسم الضاحية الحديثة تاغرارت و القديمة أغادير، انظر : الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج 1، عالم الكتب بيروت، لبنان، 1989، ص ص 248-250 .

(2) الزيانية: نسبة إلى الدولة الزيانية التي اتخذت من تلمسان عاصمة لها، و تأسست الدولة الزيانية على يد يغمراسن بن زيان، الذي تمكن من إخضاع كل القبائل المناوئة له كبني راشد و بني مطهر، و استقل بدولته 683 هـ / 1835 م و نسبت إليه الدولة الزيانية، انظر يحيى بن خلدون : بغية الوداد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تقديم و تعليق :عبد الحميد حاجيات ،ج2، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص ص 109 -116.

(3) عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، ج 2، موفم للنشر و التوزيع، الجزائر،2002 .

(4) محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1991،ص 40-47، عبد العزيز فيلالي،ج2، ص ص338 -345 .

(5) المرجع السابق، ص 347 .

(6) عبد الرحمان بن خلدون: **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت، 1968، ص 695.

(7) عبد الرحمان بن خلدون: **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص 422 .

(8) دواية: و هي الإناء الصغير الذي يوضع فيه الحبر و تدخل الريشة بداخله حتى تمتلئ بالحبر، ثم يكتب بها، و بعد إنهاء الكتابة تغلق و يحافظ عليه لأنه يجف و يتصلب بالهواء ،انظر ولاء حمادة: قصة أداة الكتابة من الريشة إلى الكمبيوتر. مجلة الجزيرة، مجلة الكترونية،ع 142، 2006 . www.al-jazirah.com 21.04.2013 الساعة 18:00.

(9) الصلصال: بفتح الصاد مشددة، و سكون اللام، وهو الطين اليابس ،الذي يصلصل، أي يحدث صوتا عند احكاكه بسبب يبسه ،و صلصال قبل ان تصيبه النار ،فإن إصابته يصبح فخارا أو خزافا، ورد في القرآن الكريم " و لَقَدْ خَلَقنَا الإنسَانَ مِنْ صُلْصَالٍ مِنْ حَمَا مسنُونٍ " سورة الحجر آية 26 . انظر: قاموس المصطلحات الاقتصادية الإسلامية، بيروت، لبنان، 2007، ص333 .

(10) ابن ابي دينار القيرواني: **المؤنس في أخبار افريقية و تونس**، ط3، تح: محمد شمام المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت)، ص 157 .

(11) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 1، ص 145 .

(12) كمال السيد أبو مصطفى: **جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب**، مركز الإسكندرية لكتاب، القاهرة ، 1997، ص 117.

(13) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 1، ص 146 .

(14) مسجد سيدي إبراهيم المصمودي: يعود تأسيس هذا المسجد إلى عهد حكم السلطان أبو حمو موسى الثاني، وأسماه بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ العلامة إبراهيم المصمودي، الذي توفي حوالي سنة 805ه، والمسجد بني سنة 768ه، وهو يقع إلى الشرق من مسجد أبي الحسن وإلى الجنوب الغربي من المشور في حي باب الحديد، في أرض منبسطة ومستطيلة، يقع المسجد في قسمها الشمالي، أنظر: عبد الحميد حاجيات وآخرون: الجزائر في التاريخ، ص 497، أنظر أيضا:www.almasalik.com 18-04-2013 الساعة 18:30.

(15) مسجد سيدي الحلوي: يشبه كثيرا مسجد سيدي أبي مدين، بناه السلطان أبي عنان المريني سنة 754ه، بجانب ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الملقب بالحلوي، المتوفي أوائل القرن السابع هجري، وكانت به زاوية ن ويقع هذا المسجد خارج مدينة تلمسان القديمة إلى الناحية الشمالية البحرية في سفح الجبل والهضبة التي أسست عليها المدينة، على أرض مائلة شديدة الانحدار، إلى الغرب والشمال، بينما يقع وجه المسجد على جهة الشرق صوب جرف الجبل. أنظر:

George Marçais: Collection les villes d'art célèbres Tlemcen, ParisLaures, 1950, p75.

أنظر أيضا: عبد الحميد حاجيات: أبو حمو الزياني (حياته وآثاره)، الشركة الوطنية للنضر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص65.

(16) أسسه أبو سعيد عثمان سنة 696ه الموافق لـ 1296م، تحول اليوم إلى متحف المدينة، أنظر: جورج مارسي: تلمسان، تر: سعيد دحماني، دار النشر التل، الجزائر، 2004، ص 47.

(17) تقع ناحية المطمر داخل باب كشوط من المدينة، أنظر: أبو عبد الله التنسي: نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمد بوعياد، الجزائر، 1986، ص 139.

(18) ابني الإمام: هما العالمان أبو زيد عبد الرحمن، وأبو موسى عيسى، ولدا الفقيه الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام من أهل برشك، وهما مشهوران بالعلم والرياسة، أنظر: يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص 130.

(19) بودواية مبخوت، محمد بوشقيف: **المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال القرنين** 8هـ/ 9هـ- 14م/15م، الفسطاط، مجلة إلكرتونية، www.fustat.com 19-04-2013 الساعة 10:30.

(20) عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 61.

(21) أبو موسى عمر المشدالي: هو من أكبر فقهاء عصره، أصله من زواوة ببجاية، كان أعرف أهل عصره بمذهب الإمام المالك، توفي سنة 741هـ، أنظر: أبو عبد الله التنسي: المصدر السابق، ص 141.

(22) للمزيد من التفصيل في المدارس الزيانية بتلمسان، أنظر: عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 143، محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 397، عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 37.

(23) مختار حساني :تارخ الدولة الزيانية – الأحوال الإقتصادية والثقافية ،ج2 منشورات الحضارة ، الجزائر ،2009، ص 283-284 .

(24) كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 117.

(25) ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 56.

(26) أنظر: عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 149.

(27) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ص 460- 461.

(28) محمد بن أبو عبد الله التنسي: ولد بتنس حوالي 820ه/ 1417م، نشأ في تلمسان وأخذ عن علمائها أمثال : سعيد القيرواني، محمد النجار، توفي سنة 899ه/ 1494م، فكان أديبا ومؤرخا، أنظر: أبو عبد الله التنسي: المصدر السابق، ص 11- 12.

(29) المذهب المالكي: هو ما تعلق بالأحكام الاجتهادية الظنية التي اختص بها الإمام مالك بن أنس – رحمه الله – أصالة، لأن الأحكام التي دخل عليها الدليل الصحيح الصريح الذي لا معارض له لا يصح في الأصل نسبتها إلا إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، أنظر: الملتقى المغربي للقرآن الكريم : ملتقى علم الحديث والفقه، مفهوم حقيقة مصطلح المذهب (المذهب المالكي نموذجا).

www.maroc-quran.com 19-04-2013 الساعة 17:00.

(30) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد: ولد في 14 ربيع الأول سنة 766ه الموافق لـ 1364م، نشأ مكبا على دراسة العلوم العقلية والنقلية، أخد عن والده وعمه (ابني مرزوق الخطيب) وعن كبار علماء عصره أمثال: سعيد العقباني، أبي إسحاق المصمودي، وغيرهم، أنظر: محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، تقديم: عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 2006، ص 216.

(31) ألفريد بل: الفرق الإسلامية في شمال إفريقية، ط1، تر: عبد الرحمن بدوي: دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1969، ص 312.

(32) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 437.

(33) يذكر ابن مريم أنه ولد سنة 830هـ ومات وعمره 63سنة، أنظر: ابن مريم الشريف المليني المديوني التلمساني: البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان،ديوان الطبوعات الجامعية الجزائر،1986، ص 244.

(34) محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 211.

(35) أبو عبد الله التنسي : المصدر السابق ، ص 179-180

(36) بوحسون عبد القادر:العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633هـ-962هـ/ 1235م-1554م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان ،2007-2008 ، ص 118 .

(37) ابن خلدون، المقدمة،ص 499.

(38)القضاء: مصطلح القضاء عند النباهي أنه انقضاء الشيئ تماما ،فيقال قضى الحاكم،إذا فصل في الحكم و أنهى نزاع المتخاصمين، وقضى دينه أدّى ما عليه من دين لصاحب الدين ،وقضيت الشيئ أي أحكمت عمله ونفّذت هذا العمل ،و القضاء من أسمى الخطط والوظائف الدينية و يشترط في القاضي قبل كل شيئ

العلم والورع .أنظر أبو الحسن النباهي :تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا)، تح لجنة إحياء التراث العربي ،ط5، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ،1983،ص5 .

(39) بوزيان الدراجي:**نظم الحكم في دولة بني عبد الواد**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 241.

(40) أبو العباس أحمد الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**،ج11، أخرجه محمد حاجي وأخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981 ، ص109-110.

(41) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 456.

(42)أبو عبد الله التنسي : المصدرالسابق ، ص 179-180

(43)عاش الأديب خلال عهد السلطان الزياني يغمراسن، ترك أثرا كبيرا في فن الكتابة بمدينة تلمسان، أنظر: أبو عبد الله التنسي: المصدر السابق، ص 127.

(44) محمد الطمار: المرجع السابق، ص 221.

(45) ولد ابن خميس بتلمسان سنة 650هـ/ 1252م، أشاد العديد من معاصريه بنبوغه في كتابة الشعر، ولاه السلطان أبو سعيد بن يغمراسن ديوان الإنشاء وأمانة سره، وما لبث أن ذاع صيته بغرناطة، مات بها تيلا على يد علي بن نصر الشهير بالأيكم برمح سنة 1309م، أنظر: يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 109.

(46) عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 30.

(47) محمد الطمار: **تاريخ الأدب الجزائري**، ص 225، حسب المرجع الأبيات من البحر الطويل .

(48) ولد بتلمسان سنة 711هـ الموافق لـ 1311م، رافق أباه في سفره لأداء فريضة الحج، رحل إلى الشام ومصر وتونس، تقلد وظائف سامية بفاس وتلمسان وغرناطة، المسند الصحيح، أنظر: ابن مرزوق الخطيب التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تقديم : محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 24- 25.

(49) محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 496 حسب المرجع الأبيات من البحر الكامل.

(50) هو أبو زكريا يحي بن خلدون، ولد بتونس سنة 734هـ الموافق لـ 1333م، نشأ في أسرة عريقة في الثقافة والعلوم، تقلد عدة مناصب في دولة بني زيان ودولة بني مرين، توفي سنة 780هـ الموافق لـ 1379م، أنظر: يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 7.

(51) نفسه، ص 53.

(52) أبو عبد الله التنسي: المصدر السابق، ص 11.

(53) ابن مرزوق الخطيب التلمساني: المصدر السابق، ص ص 95- 98.

علم المنطق: هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات، أنظر: ابن خلدون: **المقدمة**: ص 913.

(54) سعيد العقباني: هو أبو عثمان الفقيه، تفنن في العلم ، ومعرفة الحساب والهندسة، وولي القضاء في وهران وهنين، أنظر: يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 123.

(55) عبد الكريم المغيلي التلمساني: ولد ونشأ في تلمسان، أخذ عن علمائها ، اشتهر في المنطق والتفسير والفقه، توفي سنة 909ه/ 1504م، أنظر: محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 441-442.

(56) الخونجي: صاحب كتاب " نهاية الأمل في شرح الملل " برز في علم المنطق، شرح كتابه العديد من العلماء منهم أبي عثمان سعيد بن محمد ، أنظر: المرجع نفسه: ص 444- 446.

(57) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 470- 471.

(58) أبو العباس محمد بن قاسم بن توزت: هو من كبار فقهاء تلمسان، كان عالما في العلوم النقلية والعقلية، والحساب، والأوقاف، ولد سنة 832ه، توفي سنة 896ه، أنظر: محمد الطمار: تلمسان عبد العصور، تقديم: عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

(59) علم الفلك: هو علم يدرس حركة الكواكب الثابتة والمتحركة، والمتحيزة بطرق هندسية، ويتناول حساب حركة الكواكب لتحديد موقعها، انظر: ابن خلدون:القدمة، ص 601.

(60) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 475.

(61) التلاليسي: هو الحاج أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة التلاليسي، كان على قيد الحياة بتلمسان ما بين عامي 760ه – 767ه/ 1359م- 1366م، كان أديبا وشاعرا ووشاحا، أنظر: محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 500.

(62) محمد بن أحمد العقباني: هو أبو عبد الله العقباني، ولد بتلمسان حوالي 804هالموافق لـ 1401م، نشأ بها وأخذ العلم من علمائها، تولى القضاء ببلده، وتوفي تلمسان أواخر 871ه/ 1466م، أنظر: المرجع نفسه: ص 510.

(63) نفسه، ص 430- 439.

(64) فن التوشيح: هو فن من الفنون الأدبية، يبلغ فيه التنميق غايته استحدثه المتأخرون، وسموه بالموشح، و ينظمونه أسماطا أسماطا، وأغصانا أغصانا، أنظر: ابن خلدون: المقدمة: ص 671.

(65) أحمد بن البطيوي: هو أبو العباس أحمد بن عيس البطيوي، كان حيا سنة 843هـ/ 1440م، أنظر: أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، تقديم: محمد رؤوف القاسمي الحسيني، ج1، موفم للنشر، 1991، ص 322.

(66) يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 206، أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، تقديم: محمد مختار العيادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص340.

(67) نفسه، ص 341، أبو الحسن القلصادي: **رحلة القلصادي**، دراسة وتحقيق: ابوالأجفان، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس، 1978، ص 28.

(68) أبو الحسن القلصادي: هو علي القرشي البسطي، أبو الحسن الشهير بالقلصادي، ولد ببسطة سنة 818ه، قرأ القرآن درس العلوم الشرعيو واللغة العربية وكذلك الفقه والحساب والفرائض، عرف برحلته الشهيرة، له تصانيف عديدة، توفي في منتصف ذي الحجة 891هـ/ ديسمبر 1486م بمدينة باجة، أنظر:أبو الحسن القلصادي: المصدر السابق، ص 30-52.

(69) نفسه، ص 32- 33.

(70) الشريف الحسيني التلمساني: هو محمد بن احمد بن يحي الإدريسي الحسني أبو عبد الله العلويني، المعروف بالشريف التلمساني، ولد سنة 710ه،نشأ بتلمسان، وأخذ العلم عن مشايخها، انتقل إلى تونس سنة 740هـ، ثم غادر إلى تلمسان وتفرغ للتدريس، توفي سنة 771هـ، أنظر: أبو العباس ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات، تح: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1982، ص 368.

(71) أحمد محمد الطوخي: المرجع السابق، ص 341- 342.

(72)لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ص 236- 237، لسان الدين ابن الخطيب :كناسة الدكان ، ص 160.

(73) عمار هلال :المرجع السابق ، ص30

(74)عبد الرحمن بن خلدون : **رحلة ابن خلدون ،تح محمد تاويت الطنجي**، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2004 ، ص 62.

(75)لسان الدين بن الخطيب: ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تح محمد عبد الله عنان، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1981، ص 185.

(76) شهاب الدين المقري: نفح الطيب ،ج6 ،64

(77) لسان الدين بن الخطيب: هو محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي أبو عبد الله، ولد سنة 73هـ/ 1313م بغرناطة، ونشا بها استوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل سنة 733هـ/ 1332م، ثم ابنه من بعده، ترك الأندلس بعد وشاية من حاسديه ، فالتجأ إلى تلمسان، ثم أعيد إلى غرناطة، ووجهت له تهمة الزندقة وقتل سنة 776هـ/ 1374من له مؤلفات عديدة منها: الإحاطة في أخبار غرناطة، كناسة الدكان، خطرة الطيف، أنظر: الزركلي: الأعلام، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، 2007، ص 235.

(78) شهاب الدين المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص 242.

(79) لسان الدين بن الخطيب :كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تح محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،2003، ص85.

(80) أبو عبد الله بن الابار :التكملة لكتاب الصلة ، تعليق ألفرد بل ،ابن أبي شنب، المطبعة الشرقية، الجزائر ،1920، ص 146-147.

(81) أبو حيّان الاندلسي :هو أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الأندلسي الغرناطي، ينتسب لقبيلة نفزة البربرية ،ولد بمدينة مطخترش وهي مدينة من حضرة غرناطة في أواخر شوّال سنة 654 هـ، تطلّع إلى المعرفة

والعلم ببلده ثم طاف بالأندلس من اجل ذلك، ورحل حتى إلى المشرق لهذا الغرض، وقد خدم العلم حوالي ثمانين عاما.أنظر محمد يوسف أبو حيّان الأندلسي: تذكرة النجاة، تح عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ص 9.

(82) شهاب الدين المقري : نفح الطيب ،ج3،ص 186

(83)تونس: مدينة كبيرة مستحدثة في إفريقية على ساحل بحر الروم، كبرت من أنقاض مدينة كبيرة وقديمة بالقرب من قرطاج، اسمها القديم تريشنت، وهي قصبة إفريقية، من أصح البلاد هواءا، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، دار صادر، للطباعة والنشر، 1979، ص 76.

(84)مراكش: مدينة تقع جنوب المغرب، أسست سنة 462هـ، وقد اتخذها اللمتونيون المرابطون ثم المصامدة من بعدهم كرسيا للمملكة، نظرا لقربها من أراضيها، ويذكر عبد المنعم الحميري أنها تقع شمال أغمات ، وعلى اثني عشر ميلا منها بداخل المغرب، وليس حولها إلا جبل صغير يسمى إيجليز، أنظر: عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأمصار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص 540.

(85) أبو عبد الله التنسي: المصدر السابق، ص 211، محمد الطمار: المرجع السابق، ص 216.www.maroc-quran.com 19-04-2013 الساعة 17:00.